ISSN:2536-9245

سِيمِيَائِيَّةُ الخِطَابِ القُرْآنِيِّ
بَيْنَ التَّشَاكُلِ والتَّبَايُن: سُورَةُ الصَّافَّاتِ أُنْمُوذَجًا

أ./ مريم محمد خادم الشامسي*

د./ حسام الدين سمير عبدالعال محمد**

ملخص البحث

تتخذ هذه الدراسة أنموذجا قرآنيا يتمثل في سورة الصافات لتطبيق بعض مفاهيم السيميائية في تحليل وإيضاح المحور الدلالي أو البنية الدلالية الكبرى التي تمثل البنية العميقة لكل بنيات ودلالات السورة؛ وقد كشفت الدراسة عن أن الدعوة إلى التوحيد، ودحض الشرك بكل صور هو البنية العميقة لمحاور السورة الدلالية، وذلك عبر مفاهيم التشاكل والتباين، إضافةً إلى تمثلات المربع السيميائي، ومدى تطبيقه على دلالات السورة الكريمة.

وقد هدفت الدراسة إلى الوقوف على ما تشتمل عليه السورة من علامات سيميائية ورموز دالة وفقا للعناصر الدلالية الأكثر بروزا في السورة، وهي عناصر المؤمنين والكافرين، والملائكة والشياطين، وفقًا لمعيار التشاكل والتباين الذي يعتمد على حصر الوحدات اللغوية المتشابهة والمتنافرة.

وقد خلصت الدراسة إلى العديد من النتائج أبرزها:أن الدعوة إلى توحيد الله عز وجل؛ وتثبيت أصول العقيدة الصحيحة هو المحور الدلالي الذي تقوم عليه دلالات سورة الصافات، وذلك بناء على علاقات التشاكل والتباين بين الوحدات اللغوية المتشابهة والمتنافرة لعناصر المؤمنين والكافرين، والملائكة والشياطين، ومن خلال التركيز على علاقات المربع السيميائي الدلالية والمنطقية للبنى الدلالية المنطقية العميقة لخطاب السورة.

وانتهت الدراسة لعدة توصيات منها: أنه ينبغي لتحليل السور القرآنية في ضوء المنهج السيميائي من البحث في الجذور الفلسفية والمعرفية لأصول هذا المنهج؛ وتطبيق المفاهيم السيميائية الصالحة على النصوص الأدبية؛ سواء الشعرية أو الروائية.

الكلمات المفتاحية: مفهوم السيميائية ، سورة الصافات ، البعد السيميائي ، البنية العميقة ، المربع السيميائي ، التشاكل والتباين الدلالي

* باحثة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها- جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية.

** أستاذ مشارك في جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية.

ISSN:2536-9245

Semiotics of The Qur'anic Discourse Between Similarity and Dissimilarity (Surat As-Saffat As A Model)

Abstract

In order to analyze and define the semantic axis, or the major semantic structure that forms the deep structure of all the structures and semantics of the surah, this study uses a Quranic model of Surat Al-Saffat. Through the concepts of similarity and dissimilarity, in addition to the representations of the semiotic square, and the extent of its application to the semantics of the holy surah. The study revealed the calling for unity and the refutation of polytheism in all its forms is the deep structure of the surah's semantic axes.

The study sought to identify the semiotic signs and symbols contained in the surah, according to the most essential semantic elements in the surah, which are the elements of believers and unbelievers, angels and demons, according to the criterion of similarity and dissimilarity, which depends on the inventory of similar and discordant linguistic units.

The study summed up to several results, most notably: That the calling to the unity of Allah Almighty; fixing the origins of the correct belief is the semantic axis on which the semantics of Surat Al-Saffat are based, based on the similarity and dissimilarity relations between the similar and discordant linguistic units of t the elements of believers and unbelievers, angels and demons, and by focusing on the relationships of the semiotic, semantic and logical square of the deep logical semantic structures of the surah’s discourse.

The study concluded with several recommendations, including: that studying the philosophical and cognitive foundations of the semiotic approach's origins, as well as applying genuine semiotic ideas to literary texts—whether poetic or novelist—should form the basis of any interpretation of the Qur'anic surahs.

Keywords: Concept of Semiotics - Surat al-Saffat - Semiotic Dimension - Deep Structure - Semiotic Square - Semantic Similarity and Dissimilarity.

ISSN:2536-9245

مقدمة البحث

[أ]- موضوعُ البحث :

لقد عرفت السيميائيةُ تحولاتٍ عديدةً في قراءة النصوص الأدبية بصورة عامة، ولأن الخطاب القرآني هو أسمى أنواع الخطابات الأدبية، فقد ارتأيت أن أسلط الضوء على سورة من سور القرآن، ألا وهي (سورة الصافات) عبر المنهج السيميائي بأدواته وآلياته التحليلية؛ وذلك من خلال تحليل البنية العميقة لدلالة السورة عبر مفاهيم التشاكل والتباين، إضافةً إلى تمثلات المربع السيميائي، ومدى تطبيقه على دلالات السورة الكريمة.

والذي يدعو إلى الخوض في هذا المجال هو ما تشتمل عليه السورة – شأنها شأن باقي سور القرآن الكريم- من علامات سيميائية ورموز دالة بسياقاتها المتنوعة على دلالات وغايات خطابية جامعة بين المقاصد الدينية والجمالية.

[ب]- أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية :

- تعريف السيميائية وموضوعها، وخصائص تحليلها.
- الإحاطة بالمفاهيم المكونة للبنية العميقة للدلالة السيميائية.
- التعرف على الجانب الدلالي المنطقي لآيات سورة الصافات في إطار سيميائي.
- توضيح الخطوات التأويلية التي يجتازها بناء المعنى في سورة الصافات من مستوى السطح إلى مستوى العمق.
- إبراز المعاني والدلالات التي تزخر بها آيات سورة الصافات، وتحليلها سيميائيًّا وفقًا لمعيار التشاكل والتباين الذي يعتمد على حصر الوحدات اللغوية المتشابهة والمتنافرة.

ISSN:2536-9245

[ج]- أهميةُ البحثِ وأسبابُ الاختيار:

[ج]/١ : الأهمية :

تأتي أهمية هذا البحث من خلال النقاط الآتية :

- **محاولة إسقاط منهج نقدي حديث على دلالات النص القرآني المحكم.**
- **الربط بين الغايات الدينية والجمالية للخطاب القرآني عبر آليات التحليل للمنهج السيميائي.**
- **دراسة آيات سورة الصافات وتأويلها في إطار سيميائي، من خلال مفاهيم التشاكل الدلالي والمربع السيميائي.**
- **رصد البنية العميقة لسورة الصافات وتحليلها بوصفها خطابًا دالًّا، بهدف التعرف على عناصر تكوين البنى السيميائية والدلالية المتضمنة فيها.**

-[ج]/٢ : أسبابُ الاختيار:

ولعلَّ ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ثمة أسباب متعددة لعل أهمها :

- **سد القصور الواضح في المكتبة العربية فيما يخص مجال سيميائية الخطاب القرآني.**
- **أن المنهج السيميائي يفتح أمام الباحثين مجالات متعددة، وآفاقًا جديدة لتناول الخطابات الأدبية من زوايا نظر جديدة.**
- **إلقاء الضوء على ما استجدَّ في دراسة المنهج السيميائي من مقولات وآراء، مثل التشاكل والتباين، بما يسمح بقراءة سورة الصافات قراءة سيميائية.**
- **أن المنهج السيميائي قائمٌ على الإحاطة بالظاهرة اللغوية من جهة منطقية الدلالة، والبنية الأولية التي تقوم عليها.**
- **كون المنهج السيميائي يقوم بتحليل النصوص من خلال إطارين: إطار عميق ضمني، وإطار سطحي ظاهر، وهما الإطاران المؤسسان لمفهومي التشاكل والتباين، والمربع السيميائي.**

ISSN:2536-9245

[د]- إشكاليةُ البحث وفرضياته العلمية :

يُثير هذا البحث الإشكالية التي تتعلق بإمكانية تطبيق مناهج النقد الحديثة على النص القرآني، كالمنهج السيميائي، وهذا يثير تساؤلًا مفاده : كيف يتم تطبيق مفاهيم البنية العميقة في المنهج السيميائي لفكِّ علامات الخطاب القرآني ورموزه على مستوى التشاكل والتباين الدلالي، وذلك من خلال آيات سورة الصافات ؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسة عددٌ من الأسئلة الفرعية نذكر منها :

- **ما السيميائية ؟ وما خصائص منهجها التحليلي؟**
- **ما المفهوم السيميائي للبنية العميقة ؟ وماذا تشتمل عليه من علاقات كالتباين والتشاكل، وتمثلات المربع السيميائي؟**
- **ما أهم أنواع التشاكلات الدلالية التي تشكل المكون العميق لبنية السورة ؟**
- **كيف يتم تحليل التقابلات الدلالية في المستوى العميق لبنية السورة على ضوء مفاهيم التشاكل والمربع السيميائي؟**

[هـ]- منهجُ البحث :

ينتمي هذا البحثُ إلى نوعية الدراسات الوصفية التحليلية ؛ ولذلك فهي تستعين بالمنهج الوصفي التحليلي، الذي يستهدف وصف الظاهرة قيد البحث وصفًا دقيقًا وشاملًا من جميع جوانبها، ولفت النظر إلى أبعادها المختلفة، للوصول إلى نتائج نهائية يمكن تعميمها.

ويرتبط المنهج الوصفي التحليلي بالمنهج السيميائي في الهدف والغاية، وذلك بغرض الكشف عن بنية العلامات ودلالاتها المتنوعة في النص القرآني (سورة الصافات)، فهو من المناهج المعاصرة التي لها القدرة على تحليل النصوص بطريقة علمية وموضوعية، إذ يتميز بقدرته على رصد الظواهر اللغوية وتحليلها.

ISSN:2536-9245

وأسعى من خلال المنهجية المتَّبعة إلى تحقيق هدفين :

الأول : الجمع بين التنظير والتطبيق : حيث عمل الجانب التنظيري من الدراسة على تأسيس أرضية ثابتة من المفاهيم التي تعين الجانب التطبيقي منه على الوصول إلى مبتغاه في مقاربة السورة الكريمة – بوصفها خطابًا دالًّا – مقاربة سيميائية.

الثاني : تطبيق مفاهيم البنية العميقة للدلالة من خلال تصورات المنهج السيميائي الغربي وتطبيقاته في نصوص الخطاب القرآني. استنادًا إلى أن المعنى وتحليله هو غاية البحث السيميائي، وأن الغايات الدينية من الخطاب القرآني هي الهدف الرئيس لأية دلالة ينتهي إليها التحليل.

[و]– الدراسات السابقـــة ومناهجُهَا :

وقفت من خلال هذه الدراسة على كثيرٍ من المصادر التي تتناول تطبيق المنهج السيميائي على الخطاب القرآني، ومنها دراسات أفادت البحث في تكوين وجهات نظر متعددة. ومن ذلك :

- الدراسة الأولى: فريزة رافيل(٢٠١١م) بعنوان : التشكل الدلالي في رواية السمك لا يبالي لـ "إنعام بيوض"، أطروحة مكملة لنيل الماجستير في الأدب العربي، جامعة مولود معمري تيزي–وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر.

يندرج هذا البحث ضمن المقاربة "السيميائية" التي تهتم بتتبع حركة إنتاج الدلالة ومحاولاتها لكشف نظام العلاقات القائمة بين وحداته كيفية تجلي الدلالة.

واتخذت الباحثة منهج التحليل السيميائي السردي لمقاربة الرواية المذكورة، من خلال الاعتماد على مكوني الخطاب السردي في السيميائية السردية، وهما المكون السردي، والمكون الخطابي، وذلك عبر تحلي البنية السردية من خلال أفعال الذوات داخل الخطاب، وهي اشتغال الفواعل، وتحليل جدلية التقارب/ التنافر بينهم. إضافة إلى قراءة الدلالات القائمة على مستوى

اللُّغة والصور الخطابية المنتجة لدلالة النص، ومساهمتها في خلق الوحدات الدلالية المتباينة للنص.

- الدراسة الثانية: هبة محمد السعيد (٢٠١٥م)، بعنوان: سيمائية التشاكل والتباين في منظومة "خضر راه" لمحمد إقبال. مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر – كلية اللغات والترجمة، القاهرة، العدد التاسع.

هدفت الدراسة إلى إبراز المعاني والدلالات التي تزخر بها منظومة (خضر راه)، بمعنى تحليلها سيميائيًّا وفقًا لمعيار التشاكل والتباين الذي يعتمد على حصر الوحدات اللغوية المتشابهة والمتنافرة، ثم تحليلها للكشف عن هويتها الدلالية، مما يسهم في تقديم قراءة جديدة لهذا الخطاب الأدبي، قائمة على الربط بين النص والواقع المتمثل في التجربة التي خاضها الكاتب، وأثرت في وجدانه، ومدى تأثيرها على القارئ، وذلك بالاستناد إلى مبادئ المنهج الوصفي التحليلي.

- الدراسة الثالثة: مريم بن عمر(٢٠١٦م) بعنوان: التشاكل والتباين في ديوان (النبية تتجلى في وضح الليل) لربيعة جلطي. رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب واللغات بجامعة محمد خيضر– بسكرة بالجزائر.

هدفت الدراسة إلى الكشف عن ثنائية التشاكل والتباين، ومدى فاعليتها التعبيرية في بناء المعاني الدلالية في النص الأدبي، كما أبرزت الدراسة أنَّ التشاكل والتباين في المستوى الدلالي يظهر من خلال الكلمة، فهي قد تتشابه وتتضافر داخل حقل دلالي، لكنها تختلف وتتباين حسب موضعها وانتظامها في الخطاب الشعري.

- الدراسة الرابعة : رميسة بلعيدي (٢٠١٩م) بعنوان : التشاكل والتباين في ديوان السّاعر لمحمد جربوعة. رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب واللغات بجامعة محمد خيضر– بسكرة بالجزائر.

هدفت الباحثة إلى الكشف عن مدى استجابة الخطاب الشعري العربي، والمتمثل في ديوان "السّاعر" بوصفه أنموذجًا للتحليل من جهة التشاكل والتباين.

ISSN:2536-9245

واعتنت الدراسة لتحقيق هذا البحث بالمنهجين الاستقرائي والوصفي اللذين يقومان على إحصاء صور التشاكل والتباين في النص الشعري المختار للدراسة، مع تحليلها في إطار سيميائي. بما يشتمل عليه هذا الإطار من تمظهرات التشاكل والتباين التي تستند إليها الوحدات اللغوية المشكلة للغة الشاعر في ديوانه.

تعقيب على الدراسات السابقة :

تنوعت الدراسات سالفة الذكر في الاعتماد على مفهومي التشاكل والتباين في تحليل الخطاب الأدبي تحليلًا سيميائيًّا، وهو المنهج الذي تتفق فيه دراستنا مع تلك الدراسات، إلا أنَّ الاختلاف الواضح يكمن في أنَّ الخطاب الذي اتخذته تلك الدراسات لم يخرج عن الخطابين الشعري والنثري، وهو ما تجاوزته دراستنا حيث آثرت أن تطبق هذا المنهج على الخطاب القرآني ممثلًا في سورة الصافات.

[ز]- هيكل البحـــث :

من أجل تحقيق هدف الدراسة فقد وزعت دراستي على خطة منهجية، يتصل فيها النظري بالتطبيقي، وقد تجلت في مبحثين، يسبقهما تمهيد، ويليهما خاتمة ونتائج وتوصيات. ويشتمل كل مبحث على مطلبين على النحو الآتي :

المبحث التمهيدي : تحديد مفاهيم الدراسة.

أولًا : مفهوم السيميائية.

ثانيًا : مفهوم التشاكل والتباين.

ثالثًا: البُعْد السيميائي لسورة الصافات.

المبحث الأول : البنية العميقة للخطاب في الرؤية السيميائية.

المطلب الأول : البنية الأولية للدلالة.

المطلب الثاني : المستوى المنطقي والمربع السيميائي.

المبحث الثاني : التشاكل والتباين الدلالي في سورة الصافات.

المطلب الأول : البنية العميقة للتشاكل بين المؤمنين والكافرين.

المطلب الثاني : البنية العميقة للتشاكل بين الملائكة والشياطين.

الخاتـمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ISSN:2536-9245

المبحث التمهيدي

تحديد مفاهيم الدراســـة

١. مفهوم السيميائية :

تعرف السيميائية في ترجمة المؤلفات العربية بمصطلحي (السيميوطيقا) و(السيميولوجيا)، ولقد أشار الباحثون إلى صعوبة التفريق بين مصطلحي السيميولوجيا والسيميوطيقا، وذلك لأن "هذين المصطلحين يغطيان نفس المضمار، فالأوربيون يسلمون بالتسمية الأولى، بينما يتمسك الأنجلوساكسونيون بالثانية"(١). ويرجع ذلك إلى أن " التسميتين مترادفتان وتحيلان على ممارسة علمية واحدة"(٢).

١.١ مصطلح السيميولوجيا :

"تنحدر كلمة سيميولوجيا من الأصل اليوناني (Sémion) والمتولدة هي الأخرى من كلمة (Séma) وتعني العلامة أو الدليل (Signe)، وهي بالأساس الصفة المنسوبة على الكلمة الأصل (Sins)، أي المعنى، أما عن لفظة Logie (لوجيا) فتعني العلم، وبالتالي فإن السيميولوجيا تعني علم العلامات"(٣).

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك مرحلتين لاصطلاح السيميولوجيا بوصفه عِلْمًا للعلامات، وتمثل المرحلة الأولى الفترة التي تنبأ فيها دو سوسير بعلم يدرس نظام العلامات، أي "السيميولوجيا" ؛ كما قال صراحة : "من الممكن أن نتصور عِلْمًا يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية، وقد يكون قسمًا من علم النفس الاجتماعي وبالتالي قسمًا من علم النفس العام، ونقترح تسميته Sémiologie سيميولوجيا؛ أي علم الدلائل"(٤). وقد اعتبر دو سوسير اللسانيات جزءًا من هذا العِلم العام.

---

(١) رشيد بن مالك، إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة، مجلة علامات، النادي الثقافي الأدبي بجدة، المجلد ١٤، الجزء ٥٣، سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ٣٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٠.

(٣) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية لعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص١١- ١٢.

(٤) فردنان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح الفرماوي، مجد الشاوش، الدار العربية للكتاب، تونس، د ط، ١٩٨٥م، ص ٣٧.

ISSN:2536-9245

أما في المرحلة الثانية فإنَّ رولان بارت قام بتغيير هذا الطرح من دي سوسير؛ وذلك "بقلب العلاقة التي اقترحها سوسير بين السيمولوجيا واللسانيات، حيث قال : "يجب منذ الآن تقبل قلب الاقتراح السوسيري ؛ ليست اللسانيات جزءًا ولو مفضلا من علم الأدلة العام (السيميولوجيا)، ولكن الجزء هو علم الأدلة، باعتباره فرعًا على اللسانيات"(١).

١.٢ مصطلح السيميوطيقا :

اتفق علماء السيميوطيقا على أن "كلمة "Semiotique" آتيةٌ من الأصل اليوناني "semeion" والتي تعني العلامة، وككل مصطلح، يتكون هذا المصطلح حسب صيغته الأجنبية semiotique) أو semiotics) من جزأين (semio وtique)، إذ إنَّ الجزء الأول الوارد في اللاتينية على صورتين هما (semio وsema) يعني إشارة أو علامة، أو ما يسمى بالفرنسية (signe) وبالإنجليزية (sign)...، في حين أن الجزء الثاني يعني كما هو معروف (علم)، وبعملية تركيبية بسيطة نجد معنى هذا المصطلح هو علم الإشارات أو العلامات"(٢).

والسيميوطيقا كما ظهرت مع جهود بيرس هي "نظرية شبه ضرورية أو شكلية للعلامات، وهي ليست حسب بيرس إلا اسمًا آخر للمنطق"(٣).

وعلى الرغم من ترادف المصطلحين السابقين على معنى واحد، إلا أن بعض الباحثين قد عقد مقارنةً بين المصطلحين ؛ من جهة أنَّ السيميوطيقا تهتم بالدلالة وإنتاجها، فيما تهتم السيميولوجيا بالعلامات وتصنيفها، إذ يرى هؤلاء أن "السيميوطيقا هي نظرية إنتاج الدلالة، أي توليد الدلالة، وعلى نقيض السيميولوجيا التي تدرس أنظمة السيماءات (العلامات) ونظامها؛ (على سبيل المثال: شفرات المرور وسيماءات اللغة)، فإن السيميوطيقا تعنى فقط بالكيفية التي تنتج بها الدلالة، وبكلمات أخرى؛ فإن ما يهم

(١) رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة وتقديم : محمد البكري، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سوريا، ١٩٨٧م، ص ٢٩.

(٢) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص١٢.

(٣) جيرار دولودال، السيميائيات أو علم العلامات، ترجمة عبد الرحمن بو علي، دار الحوار، اللاذقية سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ٣٤.

ISSN:2536-9245

السيميوطيقي هو ما الذي يضفي الدلالة على التلفظ، والطريقة التي يدلل بها، وما الذي يسبقه في المستوى العميق وينتج عنه إظهار المعنى؟"[١].

وأخلص من العرض السابق بأن السيميائية – بغض النظر عن الاصطلاح– ترتبط بإيراد العلامة في التعريف؛ إذ يحدد جورج مونان السيميائية بأنها: "العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات أو الرموز التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس"[٢]. إذن فموضوع السيميائية يتمركز حول مفهوم العلامة، بما يشتمل عليه هذا المفهوم من تصور شامل لكل نشاطات الفكر الإنساني، فالعلامة سيميائيا تشمل "كل المناطق التي تغطي الوجود الإنساني، بدءا باللسان، وانتهاء بكل مظاهر السلوك الإنساني؛ اللغة واللباس والعلاقات الاجتماعية والطقوس الأسطورية والدينية"[٣].

٢. مفهوم التشاكل والتباين :

يعرف التشاكل من الوجهة السيميائية بأنه "مجموعات السيمات المتكررة التي يؤدي وجودها إلى تثبيت الدلالة في انسياب النص"[٤]. فكأننا نقصد به "تساوي عنصرين لغويين اثنين داخل وحدة كلامية في جميع الخصائص، فيكون التشاكل كليًّا، أو في بعض الخصائص، فيكون هذا التشاكل جزئيًّا"[٥]. ويعرفه جريماس بأنه "مجموعة من المقولات الدلالية التي تجعل القراءة الموحدة والمتشاكلة للمحكي ممكنة، كما تنتج عن القراءات الجزئية للأقوال وعن حل إبهامها، والتي تكون موجهة بغرض البحث عن القراءة الموحدة"[٦].

يتضح لنا مما سبق بأنَّ التشاكلَ يكون مختصًّا بالجانب المعنوي، وبمبدأ الانسجام الحاصل بين كلمتين أو أكثر.

(١) برونوين مارتن، معجم مصطلحات السميوطيقا، ترجمة عابد خزندار، المركز القومي للترجمة، العدد ١١٩٦، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص ١٦٩.

(٢) جان ماري، ديكرو، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ص ٦٤٦.

(٣) سعيد بنكراد، السيميائية مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية سوريا، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢م، ص١١.

(٤) برونوين مارتن، معجم مصطلحات السميوطيقا، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٥) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ٢٠.

(٦) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، مرجع سابق، ص ٢٠.

ISSN:2536-9245

ومن هنا فإن التشاكل يعبر عن مفهوم التعادل أو التوازي، فلقد أشار هنريش بليث إلى بعض العمليات والتعويض والتبديل وقواعد أخرى تقوي كالتعادل، مسلطًا هذه اللسانية على مستوى الخطاب، بحيث يبنى على القواعد التي تخرق – كالزيادة والنقص – العمليات اللسانية على المستويات اللسانية الصوتية والمورفولوجية والتركيبية والدلالية والخطوطية والنصانية"(١).

ويقسم التشاكل إلى قسمين : التشاكل السيميائي والتشاكل الدلالي (٢).

فالأول السيميائي يقوم على "تواتـــر السيمات النووية أو المقــولات النووية ؛ مثل : صورة الفرح ؛ السيمات النووية : إحساس+ شعور+ الرضا + إيجابي+ فعالية".

في حين يقوم الثاني الدلالي على "المقولات التصنيفية أو التصنيفات المادية الكونية، أو التصنيفات الفكرية والذهنية الفلسفية الخارجية؛ مثل: اقتصادي + إنساني + طبيعي + جنسي".

ويقدم جيرالد برنس مثالًا لتوضيح مفهوم التشاكل ؛ يقول فيه : " كان الكل يرتدي ملابس فاخرة، واقتيد جون وماري إلى مائدة فخمة في وسط غرفة مزدانة بالتحف، وقدم لهما قدحان من الشمبانيا. فكوكبة المصطلحات التي توحي بالثراء (فخمة– مزدانة بالتحف– الشمبانيا) يمكن أن يقال: إنها تؤلف تماثلًا يتسم بالفخامة"(٣).

فالمصطلحان المتباينان اللازمان لإنتاج الدلالة يعتبران لذلك أدنى رتبة من قاسمهما المشترك، أو المجموعة ككل. "فمجموعة الولع على سبيل المثال يمكن أن تعتبر أعلى رتبة من العناصر المؤلفة لها في النص ؛ مثل مصطلح : الحب ضد الكراهية"(٤).

(١) هينريش بليث، البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، ترجمة: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، ١٩٩٩م، ص٦٨-٦٩.

(٢) جميل حمداوي، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع، همان الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ٢٢٥.

(٣) جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، رقم: ٣٦٨، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م. ص١٢٠.

(٤) انظر: برونوين مارتن، معجم مصطلحات السميوطيقا، مرجع سابق، ص ٩٧.

ISSN:2536-9245

فلو أخذنا مثلًا مجموعةً دلاليةً هي (الوجود الإنساني) فإنها في البنية العميقة تتأسس على علاقة تضاد بين الحياة والموت، ففي المستوى الصوري للسرد "فالحياة يمكن أن يعبر عنها في صورة الضوء، بينما الموت يمكن أن يصور بالظلام [١].

وينبغي التنبيه إلى أنَّ التشاكل والتباين هما كلمتان لمفهومٍ واحد، وأن الفصل بينهما هو لغرض الدراسة، فكلاهما يتحقق عن طريق القراءات الجزئية للألفاظ كي نضمن انسجام النص.

٣. البُعْـد السيميائي لسورة الصافات :

ذكر ابن عاشور أنَّ "اسْمهَا الْمَشْهُور الْمُتَّفَق عَلَيْهِ الصَّافَّات. وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ وَفِي الْمَصَاحِفِ كُلِّهَا، وَلَمْ يَثْبُتْ شَيْءٌ عَن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي تَسْمِيَتِهَا"[٢]. وقد نقل السيوطي كلامًا عن الجعبري "أَنَّ سُورَةَ الصَّافَّاتِ تُسَمَّى سُورَةَ الذَّبِيحِ. وقد شكَّك في هذا الكلام بقوله : يَحْتَاجُ إِلَى مُسْتَنَدٍ مِنَ الْأَثَرِ"[٣].

وهي مكية لا خلاف في ذلك بين جمهور المفسرين، "عدد آياتها مائة وثمانون وآية عند البصريّين، وآيتان عند الباقين. وكلماتها ثمانمائة واثنتان وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وستّ وعشرون. المختلف فيها: آيتان: وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ) (وَإِنْ كَانُواْ لَيَقُولُونَ)"[٤].

وفيما يلي أبرز مقاصد سورة الصافات كما ذكر المفسرون والباحثون [٥] :

سوق الدلائل على وحدانية الله تعالى : إن أول أركان العقيدة هو الإيمان بوحدانية الله عز وجل، وبذلك فقد كان من مقصود السورة "إِثْبَاتُ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَوْقُ دَلَائِلَ كَثِيرَةٍ عَلَى ذَلِكَ دَلَّتْ عَلَى انْفِرَادِهِ بِصُنْعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا قِبَلَ

(١) برونوين مارتن، معجم مصطلحات السميوطيقا، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٢) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد »، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ، ٨١/٢٣.

(٣) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ١٩٩/١.

(٤) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق : محمد علي النجار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م، ٣٩٣/١.

(٥) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٨٢/٢٣. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مرجع سابق، ٣٩٣/١. وينظر: أحمد عباس البدوي، أهم خصائص السور المكية وخصائصها، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٨١م، ص٣٢- ٣٦.

لِغَيْرِهِ بِصُنْعِهَا وَهِيَ الْعَوَالِمُ السَّمَاوِيَّةِ بِأَجْزَائِهَا وَسُكَّانِهَا وَلَا قِبَلَ لِمَنْ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَتَطَرَّقَ فِي ذَلِكَ".

الاعتبار بالأمم السابقة : فقد جرت سنة الله عز وجل على عقاب المجرمين المكذبين في الدنيا والآخرة. ولذلك فإن قصص القدماء تمثل نموذجًا وعبرةً لبيان عاقبة الشرك والتكذيب بالآخرة من بعث وحساب وجزاء.

وصف أحوال المؤمنين وأحوال المشركين : إنَّ مقصود السّورة حكاية النَّاس في حال الدّعوة، وبيان فساد عقيدة المشركين في إثبات النسبة، وما مَنَح اللهُ الأَنبياء من النُّصرة والتأْييد.

المبحث الأول

البنية العميقة للخطاب في الرؤية السيميائـية

تُبنى البنية العميقة من جهة على دراسة البنية الأولية للدلالة، والتي تتأسس على دراسة السيمات النووية، والسيمات السياقية الدلالية. ومن جهة أخرى، تدرس البنية العميقة ما يسمى بالمربع السيميائي الذي يتحكم في البنية المنطقية للدلالة. ولذلك أقسم الحديث في هذا المبحث إلى مطلبين :

المطلب الأول : البنية الأولية للدلالة.

المطلب الثاني : المستوى المنطقي والمربع السيميائي.

ISSN:2536-9245

المطلب الأول

البنية الأولية للدلالــة

يُبنى المستوى الدلالي على دراسة المكونات الخطابية على مستوى البنية العميقة، وذلك من خلال التركيز على السيمات السيميائية، والسيمات السياقية. وذلك على النحو الآتي :

١. السيمات السيميائية النووية :

تُعنى السيميائية السردية في دراسة البنية العميقة للخطاب بالسيمات السيميائية النووية، ويعرف السيم في شكله العام بأنه : "أصغر وحدة دلالية."(١). أما السيمات النووية فهي "تقسيم اللكسيمات السياقية إلى مجموعة من المقومات أو السمات الجوهرية والعرضية التي تتكون منها الصورة الدلالية أو السياقية."(٢). كما يتضح في مثال : "الرجل ينبح".

فالسيمات السيميائية للرجل تتكون من : حي/+/مذكر/+/عاقل/+/بالغ/

والسيمات السيميائية لينبح تتكون من : /فعل/+/ صوت/+/حي/+/ يسند إلى حيوان/−/عقل/

إنَّ كِلَا السيمين يتشاركان في صفة الحياة، ويختلفان في الكثير من الصفات المميزة، وخاصة صفة العقل.

٢. السيمات السِّيَاقِيَّة :

أما السيمات السياقية فإنها تشير إلى "المقولات التصنيفية أو المقولات الفكرية والكونية الخارجية التي تحدد مجموعة من السيمات السيميولوجية أو النووية."(٣). ففي المثال السابق، يمكن الحديث عن مقولتين : /إنساني/ +/حيواني/. ويمكن الحديث في أمثلةٍ نصية أخرى عن الاقتصادي، والاجتماعي، والنفسي، والأخلاقي، والجنس، وغير

(١) جيرالد برنس، المصطلح السردي، مرجع سابق ص ٢٠٦.

(٢) جميل حمداوي، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

(٣) جميل حمداوي، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

ISSN:2536-9245

ذلك من مقولات فكرية تصنيفية يستوجبها التحليل السيميائي للسيمات النووية والسياقية.

وتُسمى البنـــية الكبرى في سيميائـــية جريماس بـــِ (المحور الدلالي أو المجموعـــة الدلالية : Semantic category)، وتقوم تراتبية الدلالة في المستوى العميق على التقابل الثنائي بين العنصر الدلالي (السيم) والمحور الدلالي له ؛ أي "من العنصر إلى المقولة التي تحتويه."(١) "فالمصطلحان المتباينان اللازمان لإنتاج الدلالة يعتبران لذلك أدنى رتبة من قاسمهما المشترك، أو المجموعة ككل. فمجموعة الولع على سبيل المثال يمكـــن أن تعـتبر أعلى رتبـــة من العنـــاصر المؤلفة لهـــا في النص ؛ مثل مصطلح : الحب ضد الكراهية"(٢). وتتولد البنى البسيطة من البنية المعقدة للمجموعة الدلالية عن طريق ثلاث علاقات منطقية ؛ هي : التضاد، والتناقض، والتضمن أو الاستلزام.

(١) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٢) برونوين مارتن، معجم مصطلحات السميوطيقا، مرجع سابق، ص ١٠٣.

ISSN:2536-9245

المطلب الثاني

المستوى المنطقي والمربع السيميائي

كان من أهم ما خَلَّفته نظرية جريماس ما يعرف بالمربع السيميائي، وهو مفهوم يتعلق أساسًا ببناء الدلالة في الخطاب على العلاقات المنطقية التراتبية ؛ فالمربع السيميائي بذلك يبدو مسئولًا عن "ضبط العلاقات المنطقية القائمة بين الوحدات الدلالية الكامنة في عمق النص، واكتشاف بنية الدلالة العميقة المؤسسة للنص والمتحكمة في البنية السطحية"(١). وتقوم هذه البنية المنطقية على التعارض والاختلاف ؛ ذلك بأن "البنية الدلالية في أي صورةٍ من صورها الأكثر ابتدائية عندما تعرف، لأول وهلة على أنها علاقة بين حدين اثنين على الأقل، لا تنهض إلا على تمايز التعارض الذي يتصف به المحور الاستبدالي للغة"(٢).

وعلى هذا فالمربع السيميائي "نموذج دينامي ؛ لأنَّ كُلَّ كلمةٍ فيه قادرةٌ على اجتذاب ما يناقضها"(٣). وهكذا فإن هناك علاقة منطقية يؤسسها المربع السيميائي بين بنية معقدة، وبنى بسيطة تتولد عنها من خلال الاختلاف والتعارض ؛ فوفقًا للمربع السيميائي "فإن البنى المعقدة تنبعث من بنى بسيطة في عملية متنامية لإثراء للدلالة"(٤).

فالمربع السيميائي بذلك يبدو مسئولًا عن "ضبط العلاقات المنطقية القائمة بين الوحدات الدلالية الكامنة في عمق النص، واكتشاف بنية الدلالة العميقة المؤسسة للنص والمتحكمة في البنية السطحية"(٥). وبناءً على ذلك فإن المستوى العميق للدلالة "يضم سطحين لتنظيم العلاقات الملائمة : شبكة العلاقات التي تقوم بترتيب القيم الدلالية الدنيا

(١) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٢) عبد الملك مرتاض، نظرية المربع السيميائي لقريماس، مجلة علامات في النقد، المجلد ١٠، العدد ٣٨، ديسمبر ٢٠٠٠م، ص٣١٢.

(٣) المرجع السابق، ص٣١٢.

(٤) برونوين مارتن، معجم مصطلحات السيميوطيقا، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٥) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

حسب التشاكلات التي تنتظمها. ومنظومة العمليات التي تنظم الانتقال من قيمة دلالية إلى أخرى"[١].

ويُستفاد من هذا أننا حين نستخرج دلالة من نص ما فإننا لا نشير إلى هذه الدلالة في حدود قيمتها المجردة، وإنما سيكون بالإمكان الحديث عن هذه القيمة من خلال علاقاتها الموازية بكل القيم الأخرى عن طريق التضاد والتناقض والتضمن. وعلى هذا فالمربع السيميائي "أداة نافعة لتصوير الدلالة السميوطيقية الأساسية، أو المتضادات الموضعية التي ينهض عليها النص"[٢].

وتعتمد البنية العميقة لأي نص على الدلالات التي تقوم على الثنائيات المتضادة بين الوحدات الدلالية الصغرى، أو ما تسمى بالسمات، التي تعرف بأنها : "أصغر وحدة دلالية"[٣]. ومن هنا فإن العناصر الملائمة للتحليل "هي تلك التي تدخل في نظام من الاختلافات والتمايزات"[٤]. وهي تندرج ضمن ما يُسمى في سيميائية جريماس بـ (المحور الدلالي أو المجموعة الدلالية : Semantic category)، وهو القاسم المشترك لأي عنصرين دلاليين مختلفين، أو متضادين"[٥]. وتقوم تراتبية الدلالة في المستوى العميق على التقابل الثنائي بين العنصر الدلالي (السيم) والمحور الدلالي له؛ أي "من العنصر إلى المقولة التي تحتويه"[٦]. ووفقًا لهذا التقابل الثنائي بين عنصرين من السيمات، وفي وفي ظل اندراجهما في محور دلالي مشترك ؛ فإن الخطاب السردي "يخضع كما هو معروف لمبدأ (الخطية)، فهو ليس فضاءً منبسطًا يتجّلى كما تتجّلى لوحة مرسومة مرة واحدة من جميع زواياها، إّنما تتوالى الملفوظات فيه تواليًا سياقيًّا، مما يستوجب تحريك المربع وبعث الحياة فيه"[٧]. ويتم هذا التحريك عن طريق تولد أربع زوايا لهذه العناصر الدلالية، فالمحور الدلالي (س) تتفرع عنه العناصر الدلالية الآتية : (س١- س٢- لا

(١) جمال حضري، البناء الدلالي للقصة عند نجيب الكيلاني : "ابن سبيل" نموذجا، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد السادس عشر، العدد الحادي والثلاثون، 2012م، ص١٦٨.

(٢) برونوين مارتن، معجم مصطلحات السيميوطيقا، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٣) جيرالد برنس، المصطلح السردي، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٤) جمال حضري، البناء الدلالي للقصة عند نجيب الكيلاني، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٥) برونوين مارتن، معجم مصطلحات السميوطيقا، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(٦) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٧) عمر عليوي، سيميائية الأمثال في الخطاب القرآني، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٧م، ص ٨١.

ISSN:2536-9245

س١– لا س٢). وقد قدَّم جريماس شكلًا لتوضيح هذه العلاقات ؛ وهو عبارة عن "رسم هندسي يرمي إلى عقلنة المعنى، وذلك بربط الصريح بالضمني مع تنظير وشكلنة وسائل خلق المعنى وتصوراته"(١). كما هو واضح في الشكل الآتي :

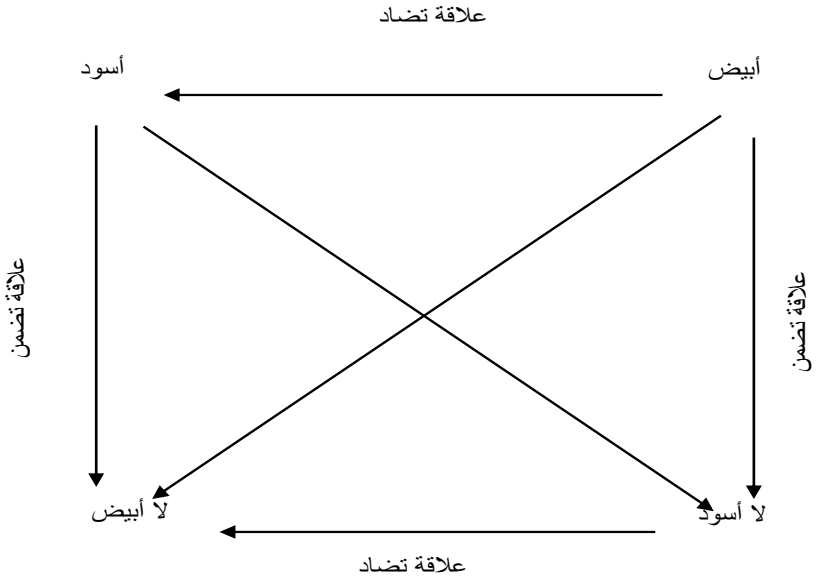

فالزاويتان العلويتان للمحور الدلالي (س) من المربع السيميائي تمثل العلاقة بين س١ – س٢، (مثلا : أبيض – أسود)، وتمثل الزاويتان السفليتان لا س١ – لا س٢، (لا أبيض – لا أسود)، ويشير جريماس إلى "العلاقات الثنائية التقابلية على النحو الآتي(٢).

– علاقة تضاد بين (س١ أبيض– س٢ أسود).

– علاقة تضمن أو استلزام (س١ أبيض– لا س١ لا أسود/ س٢ أسود– لا س٢ لا أبيض).

– علاقة تناقض (س١ أبيض– لا س٢ لا أبيض/ س٢ أسود– لا س٢ لا أسود)".

---

(١) عمر عليوي، سيميائية الأمثال في الخطاب القرآني، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص١٨٧.

ISSN:2536-9245

المبحث الثاني

التشاكل والتباين الدلالي في سورة الصافات

يمكن تطبيق ذلك على سورة الصافات من خلال المحور الدلالي الذي يمثل المقصد العام للسورة ؛ وهو توحيد الألوهية ؛ كما بيَّنا من قبل. وهي مقولةٌ دلالية عامة تتضمن عناصر دلالية متضادة ؛ تتمثل في علاقة الإنسان بالله، وهي التي تتألف من العناصر المتضادة (الكافر والمؤمن/ الكفر والإيمان). وكذلك علاقة المخلوقات بالله، وهي التي تتألف من العناصر المتضادة (الملائكة والشياطين/ الطاعة والعصيان). وتتوالد عن هذه العناصر المتضادة عناصر دلالية أخرى تتمثل في علاقة العبد بالله، وهي التي تتألف من العناصر المتضادة (الإخلاص والشرك). ثم علاقة جزاء الله للمخلوقات، وهي التي تتألف من العناصر المتضادة (النعيم والجحيم/ الفوز والخسران). وفيما يلي عرض لهذه العلاقات في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : البنية العميقة للتشاكل بين المؤمنين والكافرين.

المطلب الثاني : البنية العميقة للتشاكل بين الملائكة والشياطين.

ISSN:2536-9245

المطلب الأول

البنية العميقة للتشاكل بين المؤمنين والكافرين

تقوم هذه الثنائية على علاقة ضدية بين العنصر الدلالي الأول المتمثل في الكفر، والعنصر الدلالي الثاني المتمثل في الإيمان.

عنصر الكفر : وهو يتشكل من الوحدات السيميائية للملفوظ السردي للكافرين.

عنصر الإيمان : وهو يتشكل من الوحدات السيميائية للملفوظ السردي للمؤمنين.

ويتبدَّى هذا التشكل للبنية العميقة للعنصرين في سرد القصص النبوي للأنبياء – نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس ولوط ويونس عليهم السلام– مع أقوامهم، والذي يستغرق الآيات (من ٧٥ إلى ١٤٨) ؛ مع ما سبقه من سرد العلاقة ذاتها بين النبي محمد وأصحابه المؤمنين، وبين قومه الكافرين في الآيات (١٢– ٧٤) حيث تقوم هناك علاقة ضدية بين طرفين متضادين هما : الكافرون (القوم)، والمؤمنون (الأنبياء والصالحين)، تظهر هذه العلاقة من خلال بعض الوحدات السيميائية الدالة مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات :٨١– ١١١– ١٣٢]. ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات : ١٢٢].

تشتمل الآيات على وحدة سيميائية ذات وجهين، قائمة على التقابل بين الإيمان وضده، وقد ذكر الضد صراحة بنفي الإيمان عن الكافرين في قوله تعالى : ﴿قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات : ٢٩]. "أي بَلْ هُمْ لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَقْبَلُ الْإِيمَانَ؛ لِأَنَّ تَسْلِيطَ النَّفْيِ عَلَى فِعْلِ الْكَوْنِ دُونَ أَنْ يُقَالَ : بَلْ لَمْ تُؤْمِنُوا، مُشْعِرٌ بِأَنَّ الْإِيمَانَ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهِمْ"(١). وهذا يقتضي إثبات الضد، وهو الإيمان لمخالفيهم من المؤمنين.

وعناصر المربع السيميائي في الآيات السابقة يمكن صياغتها على النحو الآتي:

المحور الدلالي : الإنسان / الله

(١) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٠٥/٢٣.

ISSN:2536-9245

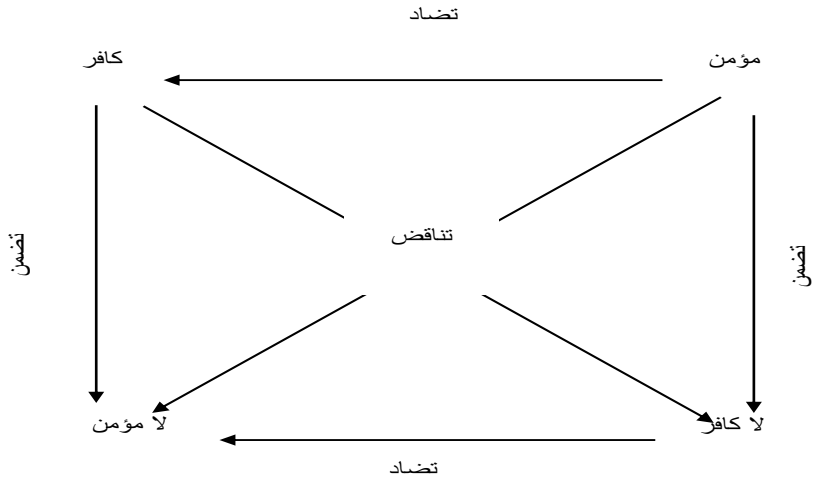

يؤسس المربع السيميائي في الشكل العلاقات السيميائية الآتية[١] :

أ- <u>العلاقات التراتبية العامة:</u> وهي تتأسس من اندراج العنصرين الدلالين (مؤمن – كافر) في المحور الدلالي (علاقة الإنسان بالله).

ب- العلاقات المقولاتية: وتتشكل هذه العلاقات من ثلاثة عناصر:

<u>علاقة التضاد :</u> حيث يتشكل المحور الدلالي لعلاقة الإنسان بالله في دالين متضادين؛ هما المؤمن والكافر، فدلالة العنصر الكافر مخالفة لدلالة العنصر المؤمن، بمعنى أن دلالة الكافر لا يفكر فيها إلا بوصفها ضدا للمؤمن. والعكس صحيح فدلالة المؤمن لا يفكر فيها إلا بوصفها ضدا لدلالة الكافر. ويسمح هذا التعالق الضدي بين دلالات المحور الدلالي لعلاقة الإنسان بالله عز وجل بتشكيل بنية ضدية متولدة عنها تقوم على السلب والنفي، وهي بين العنصر لا مؤمن وضده لا كافر؛ فـ لا مؤمن لا تتصور إلا من حيث كونها ضدا لـ لا كافر. وهو ما يتشكل دلاليا في دال (الضلال) الذي يظهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّين﴾ [الصافات :٦٩]. ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِين﴾ [الصافات:٧١].

(١) جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٩٣.

علاقة التناقض : بينما تكون العلاقة بين المؤمن واللا مؤمن، والكافر واللا كافر قائمة على التناقض، بحيث إنَّ وجود المؤمن يناقض اللا مؤمن، وكذلك العكس. بمعنى أن حضور أحدهما يقتضي غياب الآخر؛ فعلاقة التناقض تقوم على تحويل قيم الدلالة لتنتقل إلى قيم أخرى من خلال عمليتي النفي والإثبات؛ حيث تنقل عملية النفي قيمة الدلالة من مؤمن إلى لا مؤمن، وترتكز هذه العملية على نفي (مؤمن) لتظهر بذلك القيمة الدلالية للنقيض (لا مؤمن). فيما تتركز عملية الإثبات على انتقال القيمة الدلالية لـ (لا مؤمن) إلى (كافر) وذلك بطريق الاستلزام بين القيمتين.

– علاقة التضمن : أما علاقة التضمن فهي بين المؤمن واللا كافر، لأن الإيمان يتضمن عدم الكفر، والعكس صحيح؛ فالعلاقة بين الكافر واللا مؤمن معناها أن الكفر يتضمن عدم الإيمان. وهو ما يتمظهر في دوال أخرى تتضمنها الحمولة الدلالية لدال عدم الإيمان ؛ كما في دال (الغاوين) في قوله تعالى : ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِين﴾ [الصافات :٣٠]. "نفوا عنهم الإيمان والاعتقاد الحق، وأثبتوا لهم الطغيان ومجاوزة الحد في العصيان"(١).

التشاكل والتباين بين الإخلاص والشرك :

علاقة ضدية يؤسسها طرفان متضادان هما : المؤمنون المتصفون بالإخلاص، والكافرون المتصفون بالشرك، وتظهر هذه العلاقة من خلال الوحدات السيميائية الدالة مثل تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِين﴾ [الصافات :٤٠– ٧٤– ١٢٨– ١٦٠]. تشتمل الآية على وحدة سيميائية دالة على الصفة التي تمثل درجة الإيمان لدى المؤمنين، وهذا يقتضي أن من لم يتصف بهذه الصفة فهو في طرف الكفر. وقد أشار ابن عاشور إلى هذا الملحظ بقوله : "وأُولئِكَ إِشَارَةٌ إِلَى عِبادَ اللَّهِ قَصَدَ مِنْهُ التَّنْبِيهَ عَلَى أَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا مَا بَعْدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ لِأَجْلِ مِمَّا أُثْبِتَ لَهُمْ مِنْ صِفَةِ الْإِخْلَاصِ"(٢).

وعناصر المربع السيميائي في الآيات السابقة يمكن صياغتها على النحو الآتي:

المحور الدلالي : العبد / المعبود

(١) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، د.ت، ١٢/ ٨٠.
(٢) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٢٣/١١١.

ISSN:2536-9245

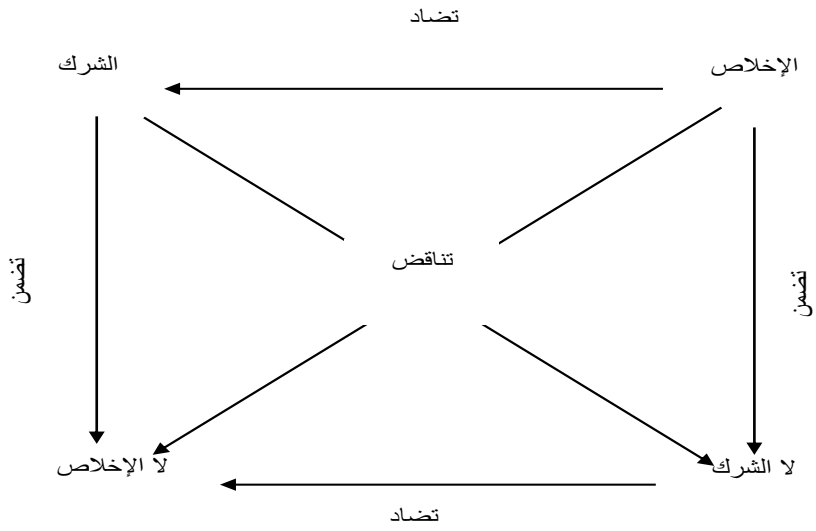

يؤسس المربع السيميائي في الشكل العلاقات السيميائية الآتية :

علاقة التضاد : بين الإخلاص والشرك؛ حيث يقابل أحدهما الآخر ويضاده، وأن ذكر الأول يوحي بضده، فالإخلاص يجعلنا نفكر في الشرك، والشرك يحيلنا على الإخلاص. وتكمن في البنية العميقة لدلالة الإخلاص الإحالة في البنية السطحية لدلالات الشرك التي يتصف بها المشركون، وهو ما يتضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُون﴾ [الصافات :٣٥]" وَذُكِرَ فِعْلُ الْكَوْنِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ مَا تَضَمَّنَهُ الْخَبَرُ وَصْفٌ مُتَمَكِّنٌ مِنْهُمْ فَهُوَ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ وَلَا هُمْ حَائِدُونَ عَنْه"(١).

علاقة تناقض : بينما تكون العلاقة بين الإخلاص واللا إخلاص، والشرك واللا شرك قائمة على التناقض، بحيث إن وجود الإخلاص ينفي اللا الإخلاص وينقضه، وكذلك العكس. ويظهر ذلك في دال (المجرمين) الذي يراد به المشركين كما يتبين في البنية السطحية لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِين﴾ [الصافات :٣٤]. "نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ أي بالمشركين لقوله سبحانه وتعالى : إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ بطريق الدعوة والتلقين لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ عن القبول"(٢).

(١) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٠٧/٢٣.

(٢) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مرجع سابق، ١٢/ ٨١.

علاقة تضمن : أما العلاقة بين الإخلاص والشرك، واللا إخلاص واللا شرك فإنها تتأسس على علاقة التضمن، فإثبات اللا إخلاص يعني نفي الإخلاص، مما يفتح المجال لظهور دال الشرك وما يستتبعه من مدلولات تؤدي نفس معناه في البنية السطحية؛ كوصف الذين ظلموا في قوله تعالى : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات :٢٢]. "ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا كَوْنَهُمْ عَابِدِينَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الظَّالِمَ الْمُطْلَقَ هُوَ الْكَافِرُ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَعِيدٍ وَرَدَ فِي حَقِّ الظَّالِمِ فَهُوَ مَصْرُوفٌ إِلَى الْكُفَّارِ، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الْبَقَرَة : ٢٥٤] "[(١)]. كما أن إثبات اللا شرك يقضي بنفي الشرك، مما يفتح المجال لظهور دال الإخلاص. كقوله تعالى : ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات : ١٦٩]. "أَيْ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ دُونَ غَيْرِنَا، وَلَمَّا وَصَفَ الْمُسْنَدَ بِ الْمُخْلَصِينَ وَهُوَ مُعَرَّفٌ بِلَامِ الْجِنْسِ حَصَلَ قَصْرُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ لَهُمْ صِفَةُ الْإِخْلَاصِ فِي الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَهَذَا قَصْرٌ ادِّعَائِيٌّ لِلْمُبَالَغَةِ فِي ثُبُوتِ صِفَةِ الْإِخْلَاصِ لَهُمْ حَتَّى كَانُوا شَبِيهِينَ بِالْمُنْفَرِدِينَ بِالْإِخْلَاصِ لِعَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِإِخْلَاصِ غَيْرِهِمْ فِي جَانِبِ إخلاصهم. وَهُوَ يؤول إِلَى مَعْنَى تَفْضِيلِ أَنْفُسِهِمْ فِي الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ حِينَئِذٍ"[(٢)].

<u>التشاكل والتباين بين الفوز والخسران :</u>

وهي علاقةٌ ضدية يؤسسها طرفان متضادان في الجزاء والنتيجة لعلاقة الذات (المؤمنون والكافرون) بموضوع القيمة (الجنة)، وتظهر هذه العلاقة من خلال بعض الوحدات السيميائية الدالة مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:٦٠:٦١]. ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات : ١٧٢ – ١٧٣].

تشتمل الآيات على وحدة سيميائية دالة على نجاح المؤمنين في الحصول على موضوع القيمة، وهو الجنة التي وصفوها بأنها فوز عظيم، في استمرارية دلالية لدوال النعيم المتمثلة في نفي العذاب والموت عنهم "الظاهر أن الإشارة إلى ما أخبروا به من

(١) فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ٣٢٨/٢٦.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٩٤/٢٣.

استمرار نفي الموت واستمرار نفي التعذيب عنهم، ويجوز أن تكون إشارة إلى ما هم فيه من النعيم مع استمرار النفيين"[١].

ويمكن تحويل معاني هذه الثنائية من خلال المربع السيميائي على النحو التالي :

المحور الدلالي : العبد / الجزاء

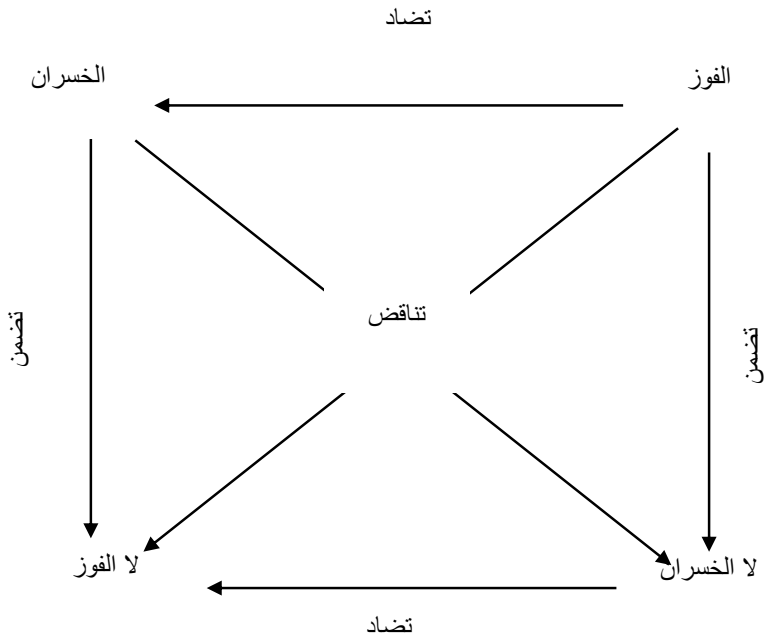

حيث يُبنى هذا المربع على أساس وجود محور دلالي مشترك بين الكافرين والمؤمنين بما يتناول جزاء كل منهما، ويظهر هذا المحور في البنية السطحية في تسميته بيوم الدين، ويوم الفصل في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات : ٢٠ – ٢١]. "والدين بمعنى الجزاء كما

(١) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مرجع سابق، ٩١/١٢.

في : كما تدين تدان. أي هذا اليوم الذي نجازى فيه بأعمالنا... والفصل القضاء، أو الفرق بين المحسن والمسيء وتمييز كل عن الآخر بدون قضاء"(١).

ويوضح هذا المربع مجموعة من العلاقات :

علاقة التضاد : بين الفوز والخسران ؛ حيث يقابل أحدهما الآخر ويضاده، وأن ذكر الأول يوحي بضده، فالفوز يجعلنا نفكر في الخسارة، والخسارة تحيل على الفوز. ولعل هذه الإحالة في البنية العميقة للفوز واستدعاء ضده هو ما يفسر البنية السطحية للقول الذي يأتي على لسان المؤمن، يتوجه به إلى القرين (الشيطان أو الكافر) في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات : ٥٦]، ﴿وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات :٥٧]. فالمؤمن يشير بالقول إلى "خَلَاصه مِنْ شَبَكَةِ قَرِينِهِ، وَاخْتِلَافُ حَالِ عَاقِبَتَيْهِمَا مَعَ مَا كَانَا عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْمُلَازَمَةِ وَالصُّحْبَةِ، وَمَا حَفَّهُ مِنْ نِعْمَةِ الْهِدَايَةِ، وَمَا تَوَرَّطَ قرينه فِي حَال الْغَوَايَةِ"(٢).

علاقة تناقض : بينما تكون العلاقة بين الفوز واللا فوز، والخسران واللا خسران قائمة على التناقض، بحيث إن وجود الفوز ينفي اللا الفوز وينقضه، وكذلك العكس.

علاقة تضمن : أما العلاقة بين الفوز والخسران، واللا فوز واللا خسران فتتأسس على علاقة التضمن، فإثبات اللا الفوز – الذي يقع على الكافرين – يقضي بنفي الفوز عنهم، مما يفتح المجال لظهور دال الخسران. كما أن إثبات اللا خسران يقضي بنفي الخسران، مما يفتح المجال لظهور دال الفوز. وهو ما تنبه إليه الآلوسي في تعليقه على الآية السابقة للآيتين : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات :٥٩]. حيث ذكر المدلولات التي ترتبط بنفي العذاب عن المؤمنين بوصف هذا النفي من مستتبعات الفوز العظيم، حيث قال : "والمراد استمرار النفي وتأكيده وكذا فيما تقدم واستمرار هذا النفي نعمة جليلة وهو متضمن نفي زوال نعيمهم المحكي في قوله تعالى : ﴿أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات : ٤١] ... وكذا يتضمن نفي الهرم واختلال القوى الذي يوهمه نفي الموت"(٣).

(١) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مرجع سابق، ٧٧/١٢-٧٨.

(٢) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١١٧/٢٣-١١٨.

(٣) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مرجع سابق، ٩١/١٢.

ISSN:2536-9245

ويمكن بيان البنية العميقة للتشاكل والتباين بين العلاقات الثلاث من خلال هذا الشكل :

الإنسان / الله		العبد / المعبود		الجزاء	
الإيمان	الكفر	الإخلاص	الشرك	الفوز	الخسران
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين	لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِين	عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِين	الَّذِينَ ظَلَمُوا	الْفَوْزُ الْعَظِيم	يَوْمُ الدِّين
	الضلال		المستكبرون	عدم العذاب	يَوْمُ الْفَصْلِ
	الطاغين		المجرمين	الْمَنصُورُون	الْعَذَابِ الأَلِيم
				الْغَالِبُون	المحضرين

المجال الدلالي للمؤمنين :

إنَّ المجال الدلالي لشخصية المؤمنين تحدده مجموعة من الوحدات السيميائية الدالة في سياق السورة :

الوحدات المعجمية الدالة : ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِين﴾ [الصافات :٤٠]. (الإخلاص) : يمثل الإخلاص جماع الكفاءة والقدرة التي تسم الدور العاملي لشخصية المؤمنين في مراحل البرنامج السردي ؛ بما يجعلهم ينالون جزاء النعيم ؛ كونهم تغلبوا على الكافرين في صراع الكفر والإيمان، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِين﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُون﴾، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُون﴾ [الصافات : ١٧١ – ١٧٣].

الوحدات المعجمية الدالة :

﴿وَهُم مُّكْرَمُون﴾ [الصافات :٤٢]. (الإكرام أو التكريم).

الإِكْرَامُ والتَّكْرِيمُ : ويفسره الزمخشري بناء على الفوز في مرحلة الصراع بين المؤمنين والكافرين بقوله : "هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح

والتعظيم، وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوى الهمم، كما أنّ من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم"(١).

الوحدات المعجمية الدالة :

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات :٥١]. (الصراع مع الكافرين).

ويتمثل الصراع بين المؤمنين، والكافرين، ويتحقق نصيًّا من خلال دال القرين، ويتحدد مساره الدلالي في كونه "يُجَادِلُهُ فِي الْإِسْلَامِ وَيُحَاوِلُ تَشْكِيكَهُ فِي صِحَّتِهِ رَجَاءَ أَنْ يَرْجِعَ بِهِ إِلَى الْكُفْرِ"(٢).

الوحدات المعجمية الدالة :

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصافات :٦٠]. (الفوز والنجاح) : يمثل هذا الدال مرحلة الجزاء والحصول على موضوع القيمة، وهو دخول الجنة بالنسبة لذات المؤمنين، قال ابن عاشور: "الْفَوْزُ: الظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ، أَيْ حَالُنَا هُوَ النَّجَاحُ وَالظَّفَرُ الْعَظِيمُ. وَقَدْ أُبْدِعَ فِي تَصْوِيرِ حُسْنِ حَالِهِمْ بِحَصْرِ الْفَوْزِ فِيهِ حَتَّى كَانَ كُلُّ فَوْزٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ لَيْسَ بِفَوْزٍ، فَالْحَصْرُ لِلْمُبَالَغَةِ لِعَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِغَيْرِهِ، ثُمَّ أَلْحَقُوا ذَلِكَ الْحَصْرَ بِوَصْفِهِ ب الْعَظِيمُ"(٣).

المجال الدلالي للكافرين :

إن المجال الدلالي لذات الكافرين تحدده مجموعة من الوحدات المعجمية الدالة في سياق الآيات السابقة :

الوحدات المعجمية الدالة :

﴿يَسْخَرُونَ﴾ ﴿لاَ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات : ١٢ – ١٤]. ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات : ٧٠]. (الكفر والعناد).

(١) أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ٤٢/٤.

(٢) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١١٦/٢٣.

(٣) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٢٠/٢٣.

تمثل هذه الوحدات السردية للمسار الصوري للكافرين في عدم امتلاكهم لشروط الإنجاز والاتصال بموضوع القيمة (الجنة)، والتي لخصناها في الكفر والعناد، وهو ما عبرت عنه الآيات السابقة.

الوحدات المعجمية الدالة :

﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِين﴾ [الصافات :٣٠] : ﴿بِالْمُجْرِمِين﴾ [الصافات:٣٤]. ﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٣]. (الفشل في الحصول على موضوع القيمة).

تمثل هذه الآيات مرحلة الإنجاز السلبي من جانب الكافرين، حيث الفشل في الحصول على موضوع القيمة، وهو دخول الجنة، بما يتضمن منطقيا دخول النار. ويتحقق هذا نصيا في دوال:

الطاغين: "أَيْ كَانَ الطُّغْيَانُ وَهُوَ التَّكَبُّرُ عَنْ قَبُولِ دَعْوَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ شَأْنُكُمْ وَسَجِيَّتَكُمْ"(١).

صال الجحيم: أي "من سبق في علم الله تعالى أنه من أهل النار يصلاها ويدخلها لا محالة"(٢).

الوحدات المعجمية الدالة :

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ﴾ [الصافات :٣٨]. ﴿فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُون﴾ [الصافات:٦٦] (النتيجة وجزاء الظلم).

تمثل هذه الآيات مرحلة الجزاء والنتيجة للكافرين، حيث تحقق العذاب ودخول النار. ويتحقق هذا نصيا في دوال :

الأكل من شجرة الزقوم : "وَظَاهِرُ لَفْظِ الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى أنها شجرة كريهة الطعم مُنْتِنَةُ الرَّائِحَةِ شَدِيدَةُ الْخُشُونَةِ مَوْصُوفَةٌ بِصِفَاتٍ كُلُّ مَنْ تَنَاوَلَهَا عَظُمَ مِنْ تَنَاوُلِهَا"(٣).

(١) مجد الطاهر بن مجد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٠٥/٢٣.
(٢) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مرجع سابق، ١٤٦/١٢.
(٣) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ٣٣٦/٢٦.

ISSN:2536-9245

امتلاء البطن من طعام الشجرة : "وَمَلْءُ الْبُطُونِ كِنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ مَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا"(١).

ونلحظ هنا التدرج في المسار الدلالي لجزاء الكافرين في هذا التصوير الذي يبدو فيه الكافرون يوم القيامة وكأنهم مدعوون لوليمة عظيمة؛ فالبداية بفعل الذوق، ثم فعل الأكل، ثم اختتمت وليمة العذاب بملء البطن، ولعل هذا المسار الصوري يقترن بمفهوم المخالفة بوليمة المؤمنين التي أعدها الله عز وجل لهم في قوله تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُوم﴾، ﴿فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُون﴾ [الصافات :٤١:٤٢]. فشتان بين إكرام هؤلاء وأولئك.

المطلب الثاني

البنية العميقة للتشاكل بين الملائكة والشياطين

تقوم هذه الثنائية على علاقة ضدية بين العنصر الدلالي الأول المتمثل في الوحدات السيميائية للملفوظ السردي للملائكة. والعنصر الدلالي الثاني المتمثل في الوحدات السيميائية للملفوظ السردي للشياطين.

ويتبدى هذا التشكل لوحدات البنية العميقة للعنصرين في العلاقة الضدية في (الآيات: ١ إلى ١٠) بين الملائكة والشياطين، من خلال بعض الوحدات السيميائية الضدية. ويمكن بيان هذه العلاقات الدلالية ضمن المحور الدلالي الآتي :

المحور الدلالي : علاقة المخلوقات بالله :

يتفرع عن هذا المحور الدلالي نوعان من العلاقات السيميائية :

العلاقات التراتبية : وهي تتأسس من خلال اندراج العنصرين الدلالين (ملائكة – شياطين) في المحور الدلالي العام (علاقة المخلوقات بالله). وهي تظهر في البنية السطحية من خلال التضاد بين دالين ؛ هما : دال (الملأ الأعلى) الذي يدل على التشريف والمكانة العالية عند الله في وصف الملائكة بقوله تعالى : الْمَلَإِ الْأَعْلى.

(١) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٢٥/٢٣.

ISSN:2536-9245

قال الزمخشري : "والملأ الأعلى : الملائكة ؛ لأنهم يسكنون السماوات. والإنس والجن : هم الملأ الأسفل ؛ لأنهم سكان الأرض. وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) : هم الكتبة من الملائكة. وعنه : أشراف الملائكة."(١). وقال ابن عاشور: "وَوَصْفُ الْمَلَإِ بِ الْأَعْلى لِتَشْرِيفِ الْمَوْصُوفِ.."(٢). ودال (دحورا) الذي يدل على طرد وإبعاد الشياطين من الوصول إلى الملأ الأعلى في قوله تعالى : دُحُورًا وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ. ونقل الرازي قول المبرد : "الدُّحُورُ أَشَدُّ الصِّغَارِ وَالذُّلِّ"(٣).

العلاقات المقولاتية : وتتشكل هذه العلاقات من ثلاثة أقسام :

علاقة التضاد : حيث يتشكل المحور الدلالي للطاعة في دالين متضادين؛ هما : الملائكة والشياطين، فدلالة العنصر (الملائكة) مخالفة لدلالة العنصر (الشياطين). ويسمح هذا التضاد بين العنصرين تحت المقولة العامة (علاقة المخلوقات بالله) بتشكيل بنية ضدية متولدة عنها تقوم على السلب والنفي، وهي بين العنصر لا ملاك وضده لا شيطان؛ فـ لا شيطان لا تتصور إلا من حيث كونها ضدا لـ لا ملاك. وهو ما يتمثل دلاليا في علاقة ضدية في البنية السطحية بين دالين؛ هما: دال (الصافات) في قوله تعالى : وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. التي تدل على الطاعة/ لا عصيان، ودال (مارد) في قوله تعالى: شَيْطانٍ مارِدٍ. والتي تدل على العصيان/ لا طاعة. قال ابن عاشور: "وَالْمَارِدُ: الْخَارِجُ عَنِ الطَّاعَةِ الَّذِي لَا يُلَابِسُ الطَّاعَةَ سَاعَةً"(٤).

علاقة التناقض : وهي العلاقة التي تكون بين الملاك والـلا ملاك، والشيطان والـلا شيطان، من جهة أن وجود دلالة الملاك يناقض الـلا ملاك، والعكس صحيح. بحيث أن وجود دلالة الـلا شيطان يقتضي غياب دلالة الشيطان؛ وهذه العلاقة تضمنتها البنية السطحية في تناقض الدالين (الزاجرات – يقذفون)، من جهة أن وجود الزاجر في جانب الملائكة يقتضي غياب المزجور المقذوف في جانب الشياطين؛ مما يولد علاقة التناقض بين الجانبين في البنية العميقة.

(١) أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مرجع سابق، ١٤\ ٣٦

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٢٣\٩٣.

(٣) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ٢٦\ ٣٢١.

(٤) مجد الطاهر بن مجد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٢٣\٩١.

علاقة التضمن: وتتبدى علاقة التضمن في البنية العميقة لعلاقة المخلوقات بالله تعالى في تضمن دلالة الملاك لدلالة اللا شيطان، والعكس صحيح ؛ فالعلاقة بين دلالة الشيطان ودلالة اللا ملاك تشير إلى أن دال الشيطان يتضمن نفي الملائكية. وهو ما يتمظهر في البنية السطحية في دال (التاليـــات) في قوله تعالى : ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣)﴾. " وَالْمُرَادُ بِـ التَّالِيَاتِ. مَا يَتْلُونَهُ مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَقْدِيسٍ لِلَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ التَّسْبِيحَ لَمَّا كَانَ مُلَقَّنًا مِنْ لَدُنِ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ كَلَامُهُمْ بِهَا تِلَاوَةً"(١). ويتضمن دال التلاوة والذكر دلالة نفي الصفات الشيطانية عن الملائكة، ويثبتها تبعا لذلك لمن تنتفي عنهم صفة الملائكة، وهم الشياطين ؛ لأنهم كما يقول تعالى : ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ (٨). وكما يقول أيضا : إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ﴾ (١٠). وقد أشار ابن عاشور إلى علاقة التضمين التي تنفي عن الشياطين صفة الملائكية في قوله: " وَحَرْفُ إِلَى يُشِيرُ إِلَى تَضْمِينِ فِعْلِ يَسَّمَّعُونَ مَعْنَى يَنْتَهُونَ فَيَسْمَعُونَ، أَيْ لَا يَتْرُكُهُمُ الرَّمْيُ بِالشُّهُبِ مُنْتَهِينَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى انْتِهَاءَ الطَّالِبِ الْمَكَانَ الْمَطْلُوبَ بَلْ تَدْحَرُهُمْ قَبْلَ وُصُولِهِمْ فَلَا يَتَلَقَّفُونَ مِنْ عِلْمِ مَا يَجْرِي فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى الْأَشْيَاءَ مَخْطُوفَةً غَيْرَ مُتَبَيَّنَةٍ، وَذَلِكَ أَبْعَدُ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَسْمَعُوا لِأَنَّهُمْ لَا يَنْتَهُونَ فَلَا يَسْمَعُونَ."(٢).

وبناء على ذلك يمكن توضيح البنية العميقة للمحور الدلالي (علاقة المخلوقات بالله) في احتوائه على عنصري الملائكة والشياطين من خلال هذا الشكل:

(١) محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٨٥/٢٣.

(٢) المصدر السابق، ٩٢\٢٣.

ISSN:2536-9245

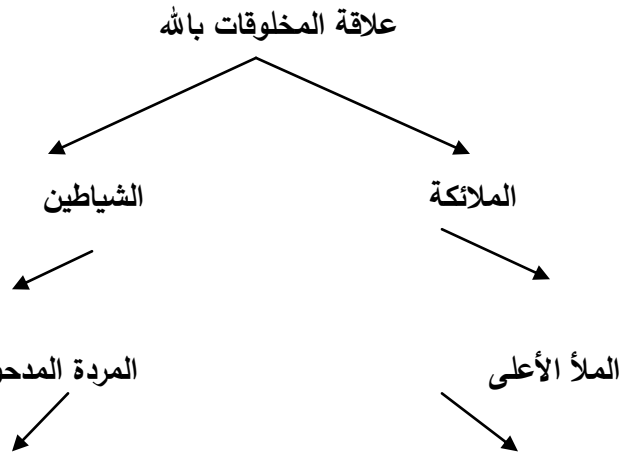

المجال الدلالي للملائكة والشياطين :

إنَّ المجال الدلالي للملائكة والشياطين تحدده مجموعة من الوحدات السيميائية الدالة في سياق السورة :

الصَّافَّات : وتتبين قيمة هذه الوحدة السيميائية الدالة من خلال القيمة التصويرية للشكل المادي والحركي لاصطفاف الملائكة، والذي يمثل سيميائيًّا أيقونة تعبر عن " كيان تصويري أو غير تصويري يمثل من خلال خصائصه الشكلية، أو من خلال طابعه العرفي حدثا أو قيمة، أو حدسا أو هدفًا"(١). فهيئتا البسط والانتظام تتضمنان دلالة الإبقاء على السماء سقفا محفوظا من اختراقات الشياطين؛ حيث تتكرر الوحدات الدلالية التي تفعل بنية التشاكل مع هذه الصورة الحسية الحركية للملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات:٧]. قال القرطبي : "وَحِفْظًا" مصدر أي حفظناها حفظا. مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِد. لَمَّا أَخْبَرَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ بِالْوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ، بَيَّنَ أَنَّهُ حَرَسَ السَّمَاءَ عَنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ بَعْدَ أَنْ زَيَّنَهَا بِالْكَوَاكِبِ. وَالْمَارِدُ: الْعَاتِي مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهِ شَيْطَانًا"(٢). فلو كانت الملائكة تقف في صفوف دون بسط أجنحتها، أو

(١) أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص٣٧.

(٢) أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ١٥\٦٥.

كانت تبسط أجنحتها في صفوف عشوائية، لحدثت في الحالين ثغرات يمكن أن يلج منها المخترقون. ومن هنا فإن البعد الإشاري للدال (الصافات) وهو (انتظام الملائكة وسدها لثغرات السماء، ومحاولات الشياطين غير المتوقفة للاختراق) يذهب بأفق توقعاتنا إلى أن المسار الدلالي للوحدة الصورية للمخلوقات المؤمنة الخفية (الملائكة الصافات) سيتضمن صورة حركية أخرى عن المخلوقات الخفية الكافرة (الشياطين المردة) ؛ وهي صورة الخطف، ذلك أن الهيئة التي يكون عليها الملائكة المؤمنون وحركتهم المتزنة المستقيمة ؛ من الاصطفاف والانضباط والانتظام، يقابلها بدلالة التشاكل هيئة الشياطين الكافرين غير المتزنة وغير المستقيمة، والتي تدل عليها الوحدة السيميائية (خطف الخطفة). قال ابن عاشور مبينا حركة الشياطين غير المتزنة : "وَالْخَطْفُ : ابْتِدَارُ تَنَاوُلِ شَيْءٍ بِسُرْعَةٍ... أَيْ خَطْفَةً وَاحِدَةً، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلْإِسْرَاعِ بِسَمْعِ مَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعَهُ مِنْ كَلَامٍ غَيْرِ تَامٍّ"(١).

الزاجرات : وتتشاكل هذه الوحدة في تتابع المسار الصوري الحركي للملائكة، مع دلالة الوحدة السيميائية (قذف الشياطين ودحرهم)، فالملائكة تزجرهم بالقذف دحورا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ. دُحُوراً وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ﴾. [الصافات: ٨-٩]. وقد بيّن ابن كثير هذا التشاكل في قوله: " دُحُورًا. أَيْ: رَجْمًا يُدْحَرُونَ بِهِ وَيُزْجَرُونَ"(٢). "كما يتشاكل دال الدحر مع دال القذف فيقول أبو حيان: " وَدُحُورًا مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: مَطْرُودِينَ، أَوْ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، أَيْ ويقذفون لِلطَّرْدِ، أَوْ مَصْدَرٌ لِيُقْذَفُونَ، لِأَنَّهُ مُتَضَمِّنٌ مَعْنَى الطَّرْدِ، أَيْ وَيُدْحَرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا، وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ قَذْفًا"(٣).

(١) مجد الطاهر بن مجد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٢٣\ ٩٣.

(٢) إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي مجد سلامة، دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، ٦\٧.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي مجد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٩٢\١٩.

ISSN:2536-9245

الخَــاتــمة

اضطلعت هذه الدراسة بإيضاح المحور الدلالي أو البنية الدلالية الكبرى التي مثلت البنية العميقة لكل بنيات ودلالات السورة من مطلعها إلى خاتمتها ؛ وتمثل هذا المحور الدلالي في الدعوة إلى التوحيد، ودحض الشرك بكل صوره، وقد كشفت الدراسة عن هذا المحور من خلال التحليل السيميائي المتمثل في مفهوم التشاكل والتباين، ودوره في بيان البنية الدلالية العميقة لهذا المحور الدلالي العام.

وقد اتخذت الدراسة عناصر المؤمنين والكافرين، والملائكة والشياطين نموذجين تطبيقيين للمقاربة السيمائية للسورة، ومن هنا فقد خرجت بالنتائج والتوصيات الآتية :

أولًا : النتائج :

١. تُـعَـدُّ السيميائيةُ منهجًا يتسع لكل أنساق الدلالة وأجه النشاط الإنساني، بدءًا باللفظ، وانتهاءً بكل مظاهر السلوك الإنساني ؛ الثقافة والملابس والعلاقات الاجتماعية والطقوس الأسطورية والدينية.

٢. يختص مفهوم التشاكل بالجانب المعنوي من الخطاب، وبمبدأ الانسجام الحاصل بين كلمتين أو أكثر، ومن هنا فإن التشاكل يعبر عن مفهوم التعادل أو التوازي بين كل لفظين.

٣. بينت الدراسة أنه حين تستخرج دلالة من نص ما فلا يشار إلى هذه الدلالة في حدود قيمتها المجردة، وإنما يمكن الحديث عن هذه القيمة من خلال علاقاتها الموازية بكل القيم الأخرى عن طريق التضاد والتناقض والتضمن.

٤. تُبنى البنية العميقة من جهة على دراسة البنية الأولية للدلالة، والتي تتأسس على دراسة السيمات النووية، والسيمات السياقية الدلالية. ومن جهة أخرى، تدرس البنية العميقة ما يسمى بالمربع السيميائي الذي يتحكم في البنية المنطقية للدلالة.

ISSN:2536-9245

٥. المحور الدلالي الذي تقوم عليه دلالات سورة الصافات هو توحيد الله عز وجل؛ وتثبيت أصول العقيدة الصحيحة.

٦. اعتمدت الدراسة في المقاربة السيميائية لسورة الصافات على التحليل المنطقي لبنية الخطاب العميقة، ويعنى هذا التحليل بتحديد البنية الدلالية المنطقية العميقة للخطاب، وذلك من خلال التركيز على المربع السيميائي وعملياته وعلاقاته الدلالية والمنطقية، وتم ذلك عبر دراسة البنية العميقة لنموذجي المؤمنين والكافرين من جهة أولى، والملائكة والشياطين من جهة أخرى.

ثانيًا : التوصيات :

١. ينبغي على مَنْ يعمد إلى تحليل السور القرآنية في ضوء المناهج الغربية الحديثة أن يبحث في الجذور الفلسفية والمعرفية لهذه النظريات؛ حتى يتجنب كل ما لا يتفق مع الغاية الدينية للقرآن الكريم؛ بوصفه كتابا مقدسا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢. أوصي الجامعات العربية خارج نطاق المغرب العربي بأن تستقطب الأساتذة والباحثين المغاربة والجزائريين ؛ لإقامة ندوات علمية واسعة ؛ للتعريف بالمنهج السيميائي من خلال كتبه الغربية المصادر.

٣. أوصي الباحثين في الدراسات القرآنية أن يكثروا من الدراسات التي تطبق مفاهيم السيمائية كالتشاكل والتباين على النصوص الأدبية؛ سواء الشعرية أو الروائية.

٤. أدعو إلى أن يكون هذا البحث لبنة في بناء أساس علمي شامل لتطبيق المنهج السيميائي على سور القرآن الكريم كافة.

ISSN:2536-9245

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : الكتب العربية :

١. إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٢. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣. جميل حمداوي، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع، همان الأردن، الطبعة الأولى،٢٠١١م.

٤. أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، المحقق : صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥. سعيد بنكراد، السيميائية مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية سوريا، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢م.

٦. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت–لبنان، د.ت.

٧. أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٨. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٩. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية لعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٠. أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١١. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٢. محمد الطاهر بن محمد (ابن عاشور)، التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد »، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

١٣. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

ثانيًا : الكتب المترجمة :

١. أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة : سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٢. برونوين مارتن، معجم مصطلحات السميوطيقا، ترجمة عابد خزندار، المركز القومي للترجمة، العدد ١١٩٦، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٣. جان ماري، ديكرو، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٤. جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٥. جيرار دولودال، السيميائيات أو علم العلامات، ترجمة عبد الرحمن بو علي، دار الحوار، اللاذقية سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٦. جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، رقم: ٣٦٨، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٧. دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٨. رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة وتقديم: محمد البكري، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سوريا، ١٩٨٧م.

٩. فردنان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح الفرماوي، محمد الشاوش، الدار العربية للكتاب، تونس، د ط، ١٩٨٥م.

١٠. هينريش بليث، البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، ترجمة: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، ١٩٩٩م.

ثالثًا : الرسائل الجامعية :

١. أحمد عباس البدوي، أهم خصائص السور المكية وخصائصها، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٨١م.

٢. عمر عليوي، سيميائية الأمثال في الخطاب القرآني، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٧م.

رابعًا : الأبحاث والمجلات :

١. **جمال حضري، البناء الدلالي للقصة عند نجيب الكيلاني: "ابن سبيل" نموذجا، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد السادس عشر، العدد الحادي والثلاثون، 2012م.**

٢. **رشيد بن مالك، إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة، مجلة علامات، النادي الثقافي الأدبي بجدة، المجلد ١٤، الجزء ٥٣، سبتمبر ٢٠٠٤م.**

٣. **عبد الملك مرتاض، نظرية المربع السيميائي لقريماس، مجلة علامات في النقد، المجلد ١٠، العدد ٣٨، ديسمبر ٢٠٠٠م.**